حوليات آداب عين شمس المجلد 52 (عدد إبريل – يونيو 2024)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

التصاوير الجدارية متنفس للعقيدة في الدولة البيزنطية

د. زين موسى القرعان*
أستاذ مساعد/ تخصص الآثار البيزنطية/ جامعة مؤته
quranzein@yahoo.com

خلف فارس الطراونة**
أستاذ/ تخصص الآثار الاسلامية/ جامعة مؤته
Khallf60@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2024/03/27
تاريخ قبول البحث: 2024/05/01
تاريخ النشر: 2024/06/30

المستخلص:

يُعد التصوير والرسم الجِداري من الفنونْ الجمالية التي زُينت بها المباني الدينية والمدنية، ومِن خِلالها يُمكن التعرُف على طبيعة الحياة والأوضاع السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والدينية واية مظاهر حضارية لأي مُجتمع. فاللوحة الجدارية هي اللوحة الفنية التي تحوي الرسوم سواء أكانت حيوانية أو ادمية، هندسية،وكتابية، وقد احتوت بعض التصاوير الجدارية على صور واشكال للمباني المعمارية وكذلك تضاريس الأرض والبيئة المحلية. وقد تعددت الأساليب الفنية في رسم الجداريات؛ فمنها جِداريات الفريسكو أو الجص، جداريات الأنكوستك، جداريات التمبرا، والجداريات الموضوعة على الحوامل الخشبية. وفي الأردن تنوعت الموضوعات الموجودة على اللوحات الجدارية وبدأ ظهورها في مناطق الأردن من الفترات الهلنستية والنبطية وحتى الفترة الأموية.

الكلمات المفتاحية: التصوير الجداري، الفريسكو، الأنكوستك والتمبرا، الحوامل الخشبية.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2024.

المقدمة

الفن الجداري أو ما يسمى بالجداريات يعدّ حقلاً من حقول الفن التشكيلي التي كان لها انتشار كبير عبر التاريخ القديم والحديث، ومرت خلالها بمراحل كثيرة، وقد كانت للعقيدة والخلود في امتزاج الجداريات بالنزعة العقائدية وتحقيق بعض الأفكار الدينية إلى جانب توظيفها لتخليد ذكريات ومناسبات وأحداث لها جانب خاص بحياة الملوك والأمراء وانتصاراتهم، وقد جاءت الجدارية منذ قدم السنين كتعبير عن واقع الإنسان ووجدانه، وتطورت مع التطورات التي شهدها الإنسان عبر مر العصور، وكان يتم معالجة الأسطح الجدارية المتنوعة من خلال المواضيع الدينية والأسطورية والاجتماعية وغيرها من المواضيع.

ظهرت البدايات الأولى لهذا الفن على جِداريات الكهوف والمغاور الصخرية قبل اختراع الإنسان للكِتابة ومِن امثله ذلك في الأردن ما تم الكشف عنهُ في مواقع وادي فينان من قبل الأثري بيل فنلسين Bill Finlayson مِن المعهد البريطاني للآثار حيث ظهرت الرسوم الحيوانية وبعض المخربشات على الكتل الصخرية وهذهِ الحيوانات تُمثل البيئة المحلية فقد رسم الإنسان الأشكال الحيوانية التي كان يصطادها؛ فقد ظهرتْ الرسوم الحيوانية على جُدران الكهوف في مناطق لاسكو والتاميرا ومناطق الصين وغيرها من المناطق(Finlayson and Mithen 1998:27-32).

وتعود جذور استخدام الجداريات في المسيحية إلى الكنائس المبكرة في العصور القديمة، حيث كان الفن يلعب دوراً أساسياً في التعبير عن المعتقدات المسيحية، ففي القرون الأولى الميلادية، كانت الرسوم الجدارية الباكرة تزين الكاتاكومبات وأماكن العبادة المخفية، تعبيراً عن الآمال والأحلام وتثبيتًا للقصص التي تحاكي حياة المسيح والقديسين.

كانت التصاوير الجدارية شائعة في المباني المعمارية المختلفة مثل القصور والكنائس إضافة الى وجود رسوم جدارية على جوانب وأسقف المدافن أعطتنا معلومات مُهمة عن الحياة الاجتماعية لأصحاب تِلك المدافن وان هذه الرسومات لها رمزية دينية روحية وواقعية إضافة الى أنها تُعتبر عنصر جمالي زُخرفي.

مثّل فن التصاوير الجدارية خلال القرون الوسطى الواجهة المسيحية للوعظ والتسامح الديني والروحي؛ فقد قدمت الكنائس من خلال الصور الجدارية المرسومة والمنحوتة على جدرانها منظومة عقائدية تحكي بالصورة قصة حياة العالم حتى نهايته مرورا بالسيد المسيح وأمه السيدة العذراء والصالحين والقديسين وقد تناولت التصاوير المسيحية الُعد الأرضي والسماوي وكذلك الحياة والموت.

خلال القرن الثاني عشر الميلادي تطور هذا الفن في مصر حيث ظهر فنْ مُميز وهو الفنْ القوطي حيث ظهرت الرسوم الجدارية مُغطاة بألواح زُجاجية وفي مُنتصف القرنْ الخامس عشر الميلادي ازدهر هذا الفنْ في مدينة فلورنسا في إيطاليا حيث اهتم الفنان بالظل والضوء في رسوماته الفنية المتنوعة حيث استخدمت زخرفة الفريسكو والتمبرا والمُكعبات الفسيفسائية كما في كنيسة السيستن في فلورنسا. في الفترة الإسلامية تفرد هذا الفنْ عن غيرهِ مِن فنونْ الحضارات السابقة حيث نهى عن تصوير الكائنات الحية فقد زُينت المساجد والمباني الأخرى بآيات من القرآن الكريم.

ومع تطور العصور، خصوصًا في عصر النهضة، بلغ استخدام الجداريات في الديانة المسيحية ذروةً في الإبداع والفنية، فقد أصبحت كاثدرائيات وكنائس أوروبا ملاذاً لأعظم الأعمال الفنية التي خلدتها أنامل فنانين مثل جيوتو، فرا أنجليكو، وميكيلانجيلو، الذين أثروا الثقافة الفنية المسيحية بأعمالهم الجدارية المذهلة.

تعد الجداريات المسيحية في الأردن من أبرز العلامات التي تجسد التاريخ الغني والتقاليد العريقة للمسيحيين في المنطقة. في هذا المقال، سوف نستعرض تاريخ هذه الجداريات الفنية، وأهميتها الدينية والثقافية، وكيف أنها تضفي رونقاً وجمالاً على المواقع الأثرية والكنائس في الأردن، لتكون شاهداً على التعايش والانسجام بين الثقافات المختلفة عبر العصور.

والجداريات المسيحية في الأردن تُشكل جزءاً لا يتجزأ من نسيجها الثقافي والديني، وحافظة على التقاليد القديمة التي مازالت شاهدة على تاريخ غني بالأحداث والتحولات التي شكلت ملامح المنطقة عبر العصور.

مراجعة الأدبيات

تناولت بعض الدراسات الجداريات بشكل عام فقد تناولت دراسة الهجان والعجمي والسيد ومصطفى(2013) والتي تناولت عرضاً لفن الجداريات من حيث أصوله وتقنياته، وقد أكدت الدراسة على أن الجداريات عبارة عن حقل من حقول الفن التشكيلي، وكان لها انتشار كبير في التاريخ القديم والحديث، كما تناولت دراسة شياع (2021) الأبعاد الجمالية للجداريات النحتية في المعابد المندائية في بغداد، وقد بينت الدراسة بأن الجداريات المندائية قد مثلت محاكاة الواقع وذلك لإدراك قيمتها الخفية، وتوجيه انتباه المتلقي لتلك القيم التي تحملها وليس الهدف هو المحاكاة، كما تكمن أهمية جماليات الجداريات المندائية في نظام العلاقات الرابطة بين المضمون والشكل ونجح بالتعبير عن البنية الفكرية من خلال تكوينات وأشكال مناسبة ومتناسقة حققت وحدة فنية.

مشكلة البحث

على الرغم من وجود ملامح للهوية الجدارية المتميزة في الأردن، تتجلى في رسومات جدارية في المدافن والكنائس والقصور، إلا أن هذه الجداريات لم تلقى اهتمام الباحثين من خلال دراستها والتعرف إلى طبيعتها ودورها في البناء المعماري، يستكشف هذا البحث التصاوير الجدارية كمتنفس للعقيدة في الدولة البيزنطية وتحديداً في الأردن.

أهداف البحث

- استكشاف تطور التصاوير الجدارية في العصور القديمة في الأردن.
- دراسة العوامل التي جعلت التصاوير الجدارية متنفساً للعقيدة في الدولة البيزنطية وتحديداً في الأردن.
- محاولة لتحديد أهم الخصائص والسمات المتعلقة بالجداريات في الدولة البيزنطية.

منهجيات البحث

اعتمد البحث على المنهج النوعي في مجموعة من الإجراءات التي اتبعها، وكانت كالتالي:

- مراجعة الأدبيات هي إحدى الأدوات التي اعتمد عليها البحث لتحليل العوامل التي أثرت على تصميم الواجهات وتأثيرها على هوية المدينة.

- اعتمد البحث المنهج التاريخي للإطار النظري في استعراض الخلفية التاريخية للجداريات في الاردن.

نشأة وتطور الفن الجداري في الدولة البيزنطية

البيزنطيون كانوا يرون في الفن الجداري وسيلة للتجلي والتقرب إلى الله. إن تصوير الأحداث الدينية والقديسين لم يكن مجرد عمل فني، بل كان بمثابة صلاة وعبادة، حيث كان يُعتقد أن هذه الأيقونات لها القدرة على تقديس المكان وجذب النعم الإلهية.

والتصاوير الجدارية أصبحت جزءاً من الحياة اليومية للبيزنطيين، فقد كانت تظهر في القصور والمساكن بالإضافة للأماكن الدينية، وهذا الفن كان يعكس الثقافة والقيم الاجتماعية، وكانت بمثابة دليل على الثروة والمكانة الاجتماعية لأصحابها.

ففي الفترة البيزنطية والأموية ظهرت رسومات جدارية في المدافن والكنائس والقصور، وأقدم الرسومات المكتشفة كانت في وادي عفرا والذي تم اكتشافها في عام 1979م (Burton 1980) حيث تم تميز رسومات للطيور والأسماك والأزهار النباتية الصفراء والحمراء اللون. وهناك مدفن روماني أعيد استخدامه كمصلى في مدينة السلط وجدت عليهِ رسومات جِدارية تمثل قديس راكبا خيل، وفي قبر جبل الجوفة الذي تم دراستهِ من قِبل دائرة الأثار الأردنية يسردْ قصة توراتية إضافة الى وجود قطوف العنب وتصور يسار اللوحة الجدارية شخص قديس ذو معجزة يشفي المرضى وعلى يمين اللوحة شخص كان اعمى وبمعجزة القديس تم إعادة بصره وقد تم التعرف على هذا من خلال الكتابات الموجودة على هذه اللوحة الجدارية (Zayadine, 1985). وقد شاع استخدام الصور الجِدارية في الكنائس المسيحية بكثرة في الأردن لكن العوامل الطبيعية والهزات الأرضية التي حدثت في عام 749م سببت في تدميرها وذلك لان مادة الجص او الفريسكو على الجدران تكون مادة رقيقة مثل الكسارة على جدران المباني ومن اهم الأمثلة على الرسومات الجدارية في الأردن جاءتنا من موقع كنيسة ام الرصاص حيث ظهرت الزخارف فيها على شكل افاريز ضمت طيور (Piccirillo, 1993).

ومن اهم الرسومات الجدارية في الأردن، الحمام الأموي في قُصير عمرة ولوحات جدارية في قصر الحير الغربي وقصر خربة المفجر في اريحا (Vibert-Guigue and Bisheh, 2007).

الأساليب الفنية المستخدمة في التصاوير الجدارية:

تعددت التقنيات والأساليب المُستخدمة في تنفيذ التصاوير الجدارية ومن هذه التقنيات والأساليب الفنية:

أولاً: **التمبرا**(Tempera) وهي عملية استخدام زلال البيض وخلطه بالألوان المناسبة مع قليل من الماء، وقد شاع استعمال هذه الطريقة خلال فترة العصور الوسطى وعرفت كذلك عند الفراعنة المصريين القدماء. وقد استخدمت فيها مواد لاصقة مثل بياض البيض والصمغ الطبيعي الذي يُستخرج من الأشجار المعروفة باسم أشجار الصمغ العربي Acacia والتي تكثر في مناطق الغور الجنوبي ومناطق وادي عربة، وتتميز ألوان التمبرا بأنها غير شفافة وهذا يُسهل عملية خلطها بالصمغ العربي أو غراء عضوي Organic Ochre أي المواد التي تحتوي على بلاتين مثل العظام والغضاريف من الحيوانات والأسماك وذلك من اجل ربط الألوان بسطح اللوحة خاصةً اللون الأحمر أو مع صفار البيض

حيث استخدم كمادة لاصقة للألوان ، وقد وجدت التصاوير الجدارية المنفذة بطريقة التمبرا في زخارف التوابيت الفرعونية في مصر القديمة ومن أشهرها موميات وجوه الفيوم وقد ظهرت مُنذ القرن الأول الميلادي واستمرت حتى القرن الخامس عشر وهو فترة عصر النهضة الأوربية(Ognibene, 2002).

ثانياً: **الفريسكو**(Fresco) أو التصوير الجصي وهي طريقة خلط الألوان مُباشرةً بالماء وتستخدم على الجدران المُبللة قبل جفافها؛ وقد شاع استخدام هذهِ الطريقة في عمل التصاوير الجدارية خلال عصر النهضة في إيطاليا وقد اهتم البيزنطيون والرومان باستخدامها. ان كلمة Fresco هي كلمة إيطالية وتعني رطب بالعربية وهي طريقة التصوير على الجص أو البلاستر وهي أن يُكسى الجدار بطبقة من الجص ثم يُطلى فوقها بالألوان المُذابة في الماء على أن يوضع الطِلا قبل جفافْ الألوان مِن اجل ان يتشرب الجص باللون المطلوب اثناء جفافه؛ وأول من رسم بهذهِ الطريقة هو الفنان الإيطالي مايكل آنجلو عندما رسم جدارية يوم القيامة.

شاع استعمال الرسومات المنفذة بالجص أو الفريسكو في العديد من المواقع الأردنية مثل مواقع شمال الأردن في قويلبة، بيت راس، سوم، جرش وكذلك في مواقع البتراء في وادي الحبيس، الزنطور والفلل النبطية فقد ظهرت رسومات أدمية وحيوانية وهندسية وكتابية في المواقع المُختلفة(Fiema, 1995).

وجدت رسومات الفريسكو على جُدران وأسقف المعابد المصرية القديمة خِلال الالف الثالث قبل الميلاد وظهرت كذلك في جزيرة كريت في بداية الحضارة المينوية على جُدران قصر كنوسوس وظهرت كذلك باليونان في تايرنز وفي بومبي إيطاليا.

ثالثاً: **الأنكوستيك** (Anacostia) وهي عملية طلاء الشمع الساخن بحيث يتم استخدام مُغلف ساخن بإضافة اصباغ ملونه اليه من اجل تنفيذ الرسومات فيتم تطبيق الوسط على سطح عادةٌ يكون خشن مُحضر وفي بعض الأحيان استخدمت فيه قطع القماش حيث يتم إضافة اصباغ الى الشمع وغالبا ما يكون من شمع العسل وهُالك احتمالية كبيرة باستخدام مكونات أخرى باستخدام البودرة المُجففة والأحبار الملونة أو الدهانات الزيتية ويستخدم في هذه الطريقة أيضا الأدوات المعدنية الساخنة مثل المعالق والسكاكين والمقاشط لتشكيل الوسط اثناء تبريدهِ وبعد ان يبرد على السطح ويتم استخدام الحرارة لدمج وتماسك اللوحة الفنية المرسومة.

ظهرت طريقة الأنكوستيك في مصر خلال الفترة الرومانية في كنائس الإسكندرية، الفيوم، عبادة الشيخ، وكانت اللوحات المرسومة تتأسس على خلط الألوان بالشمع مع إضافة قليل من الزيت وقد ظلت هذهِ الطريقة مُستخدمة حتى القرن الحادي عشر الميلادي.

رابعاً: **الحوامل الخشبية** وهي طريقة الحفر على الخشب ويطلق عليه اسم فنْ الأويمه وكلمة أويمه تعني حفر النقوش والكتابات على الخشب، وقد ازدهرت صناعة فن الخشب زمن العثمانيون حيث ظهرت أشكال خشبية متنوعة ومُزخرف عليها وفي الغالب استخدام الأثاث الخشبي خاصة في المساجد مثل حوامل المصاحف وصناديق الملابس والخزائن والكراسي حيث زُخرفت عليه الأشكال الهندسية (نصار،1996) وقد زُينت مداخل الكنائس بالواح خشبية مُزخرفة كما في

كنيسة دير عين عباطة في غور الصافي 691 ميلادية فقد زين مدخل الكنيسة من الجهة الشرقية باطار خشبي عليهِ زخارفْ هندسية (Politis, 2012).

كانت الصناعات الخشبية من اهم اهتمامات الفن القبطي في مصر خاصة في تزين الكنائس حيث استخدم الخشب كفاصل بين هيكل الكنيسة ومنطقة الصلاة واستخدام كذلك الحجاب أو الحاجز الخشبي وعليه زخرفة كتابات ونقوش ورسمت عليه الصور حيث أطلق عليه اسم حامل الأيقونات وقد ظهرت عليه كتابات باللغة القبطية والعربية أهمها آيات من الأناجيل المقدس وظهرت عليه أشكال هندسية وأشكال للصلبان والنجوم والأشكال النباتية مثل زخرفة الزيتون، وقد ظهرت احجيه خشبية في كنائس أسيوط بمصر تحوي القاباً، مِثل ملك المجد والأبواب الدهرية.

استخدمت الألواح الخشبية في كنيسة القاهرة على مر العصور قبل وبعد الفتح الإسلامي وقد استفاد منها في سد المسافات بين الأعمدة وقد استخدمت الألواح الخشبية لفصل السقيفة عن الفناء (قادوس،2002)، كما تم استخدامها في كنيسة مريم العذراء في عابود في فلسطين حيث عُثر على حاجز خشبي مليء بالصور والأيقونات المقدسة والتي تعود الى فترات تاريخية مُختلفة من القرن الخامس الميلادي وحتى القرن الحادي عشر ميلادية (نيروز،2000).

التصاوير الجدارية في الأردن

تمتلك الأردن إرثًا مسيحيًا لا يقدر بثمن، يعود تاريخه إلى فترات تواجد الكنائس المسيحية الأولى في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، والأردن بشكل خاص، وكانت مهداً للديانات التوحيدية، وممرًا للرسل والقديسين، وموقع تجمع لأوائل المؤمنين المسيحيين، والجداريات المسيحية في الكنائس الأردنية تروي قصص المعتقدات والتاريخ المسيحي، وتعود إلى العصور البيزنطية والأموية وما تلاهما، وهي تجسيد للفن المسيحي وتعبير عن العمق الروحاني والثقافي.

أن أقدم تصوير جداري في الأردن بعد التصوير الجداري الذي اكتشف في عراق الأمير هو ذلك الرسوم الجدارية التي اكتشفت في الوادي الواقع الى الشرق مُباشرة من موقع الحبيس في البتراء حيث تم توثيق غُرفتين بداخل كهف تحتويان على رسوم جدارية جصية على شكل خطوط أفقية بداخلها وحدات زُخرفية على شكل هرمي مقلوب لتشكل افريز بشكل أفقيولكن الهزات الأرضية أدت الى تدمير هذه اللوحات الجدارية ، ووجدت زخرفة جدارية أخرى على جدر كهف طبيعي بالقرب بوابة تيمونس (Temenos Gate) تعود الى منتصف القرن الأول الميلادي حيث تم اكتشافها أثناء الحفريات الأثرية التي أجريت في عام 1968 ؛ وهذا النوع من الزخرفة شائع في مناطق حوض البحر المتوسط حيث وجدت امثله مُشابهة في قصر العبد في عراق الأمير(Zayadine, 1987: 135-139). ووجدت كذلك رسومات جصية على الكتل الصخرية في منطقة البيضاء في المنطقة التي يطلق عليها السيق البارد في شمال البتراء وقد احتوت هذه الرسومات على أشكال نباتية مثل العنب وأوراق النباتات وأشكال حيوانية مثل الطيور المتوفرة في البيئة المحلية مثل طير مالك الحزين، العصفور الدوري، وطيور خرافية وهنالك رموز رُبما تشير الى ديونيسيوس (Dionysus)(Zayadine, 1986; 408-411). وفي عام 1990م تم الكشف من قبل بعثة سويسرية على رسومات جصية في موقع الزنطور في البتراء الى الشرق من معبد الأسود المجنحة (Kolb, 2002).

زُين قصر العبد في عراق الأمير بوادي السير برسومات جدارية تتضمن أشكال حيوانية منحوتة على الجدران مثل الأسود والنسور وقد عُثر في القصر على بقايا كسر جصية مُزخرفة بدهانات على شكلْ احزمه أفقية وقد استخدم هذا القصر عبر مراحل تاريخية تمتد من الفترة الهلنستية وأعيد استخدامهِ في الفترات الرومانية والبيزنطية حيث زخرفت الأعمدة بطلاء مِن رسومات الجِص (Will and Larche.1991) .

كشفت أعمال التنقيبات الأثرية التي أجريت في منطقة الأردن عن عدد مِن اللوحات الجدارية التي تعود للفترات الهلنستية والنبطية حتى الفترة الأموية وقد جاءت الأمثلة على ذلك من منطقة البتراء ففي موقع الزنطور تم الكشف عن رسومات جدارية مرسومة بالفريسكو على جُدران الفِلل النبطية وفي جرش اكتشاف آخر يعود الى الفترة الهلنستية عُثر عليه في المصطبة السفلية لمعبد زيوس وأعطت معلومات مُهمة عن تاريخ الرسوم الجِدارية ومن اهم الرسومات الجدارية ما تم الكشف عنهُ في قُصير عمرة حيث اعتمد من قبل اليونسكو على قائمة التراث العالمي-407 :Zayadine, 1986) (432 وقد كانت رحلات موزيل Musil في عام 1907م مُهمة وتوثيقه من خلال الصور والرسومات للمواقع الأثرية حيث ساعدت في إعادة الكشف مرة أخرى عن أهمية تلك المواقع ودراستها بالتفصيل في التقارير الأثرية من فترة تواجد

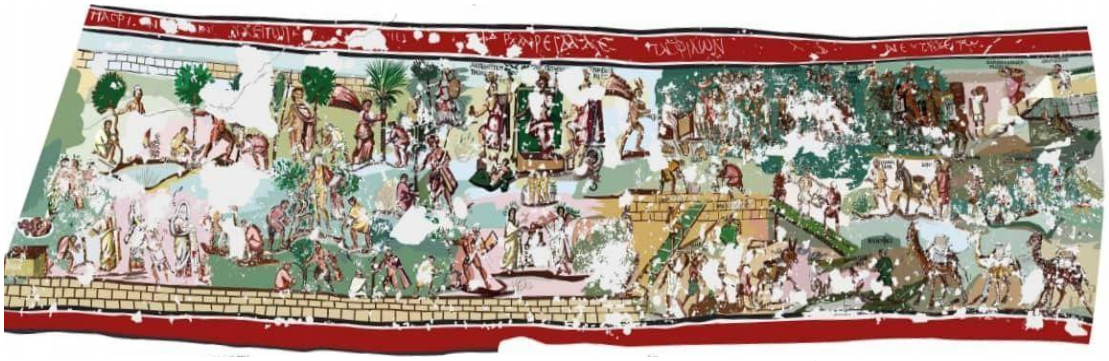

المدن العشر الديكابولس ولغاية الفترة الأموية كما في قُصير عمرة (Tell 1995: 375-382, Vibert-Guigue and Bisheh, 2007:3-23).

في شمال الأردن في مواقع المدن العشرة (Decapolis cities) كشفت الأعمال الأثرية في معبد زيوس في جرش عن تواجد لوحات جصية والواح رخامية ملونة برسومات نباتيةوأشكال هندسية مُثمنة أو معينات على شكل أفريز (Eristov and Seigne, 2002). وفي مواقع المدن العشرة كذلك عثر مقابر مدهونة جدرانها بالرسومات الجصية تعود للقرنين الثاني والثالث الميلادي وقد احتوت الرسومات على كتابات ومن أهمها مدافن ايبلا وقد اشتهر برسوماته الحيوانية المميزة من الرسومات الهندسية والحيوانية حيث وجدت رُسمت النسر في سقف المدفن (Barbet and Vibert-Guigue, 1988)، وفي بيت رأس صورت الرسومات الجدارية للمدفن احداث تاريخية مهمة خلال حرب طروادة (Zayadine, 1986)حيث صورت القتال بين هيكتور واخيل حيث يظهر اخيل راكبا عربة يجرها حصان ويدفعها نحو جدار طروادة حيث يكون هيكتور واقف على مدخل المدينة (Karasneh, 1991).

ومن اهم الرسومات الجدارية على جُدران المدافن ما تم الكشف عنهُ في منطقة السلط حيث تم العثور على جُزء منْ لوحة جدارية (الشكل: 1) تصور فارسا على رأسهِ هالة مُقدسة وفي يدهِ رُمح وهي على الأرجح صورة القديس جاورجس وهو يقتُل التنين(Vibert-Guigue 1998).

الشكل (1): رسمة توضيحية لترميم صورة القديس جاورجس من مدفن سارة – السلط (Vibert-Guigue 1998:374).

وعُثر على رسومات جدارية في مدافن قويلبة وهي معروضة الأن في متحف دار السرايا في أربد وتؤرخ هذه الجدارية الى القرن الثاني الميلادي وقد تم اكتشاف المقبرة التي تواجدت بها هذه الكسرة الجصية عام 1982 م وهي من المدفن رقم 13 حيث تم نقلها الى المتحف من اجل الحفاظ عليها وقد وجدت هذه الكسرة فوق باب مقوس كما في (الشكلين 2و3) ادناه وقد تمثلت الرسومات الجصية في هذه المدافن بأنها ضمت اشكال حيواني وادمية وجدت ضمن أطر هندسية مستطيلة او دائرية الشكل وتمثل اللوحة ادناه اطار عريض بداخلهُ الأقواس الصغيرة المتقابلة وكأنها أشكال بيضوية وتضمنت اللوحة صوره نُصفية لامرأة بوضعية المواجهة وقد ظهر شعرها مُنسدل على كتفها ضمن خلفية لونت باللون الأزرق وفي الدائرة الأخرى تم رسم صورة المرأة بوضع جانبي وقد ظهرت الخطوط المسننة بين الدائرتين تعلو عصا طويلة زُينت باللونْ الأحمر ويبدو ان المرأة تستمد القوة من طبيعة شعرها الطويل وقد ظهر باللون الأحمر رُبما يُشير هذا الى عملية الحب والعشق الإلهي وتحاكي الصورة السماء من خلال التلوين باللون الأزرق والدائرة رُبما تُشير الى اللانهاية وفكرة الخلود بعد الموت السائدة في كافة الشعوب والحضارات (نصار 1996).

\

الشكل(2):رسم لوحة فريسكو معروضة في متحف دار السرايا اربد

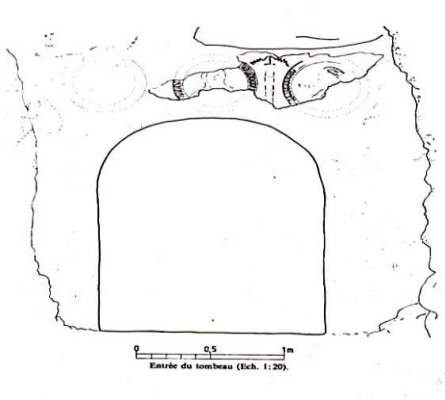

الشكل(3): صورة لوحة فريسكو في دار السرايا اربد فوق مدخل المدف المقوس(انظر الشكل السابق) (نصار 1996).

ومن اهم اللوحات الجِدارية للمدافن في شمال الأردن هي تِلك اللوحة المُميزة والمليئة بالتفاصيل الحيوية في مدفن بيت رأس (الشكل 4و5) ، ولهذا المدفن أهمية كبيرة في تاريخ الأردن خلال الفترة الرومانية حيث احتوى الدفن على تفاصيل دقيقة لم يذكر في الكتابات والدراسات الأثرية السابقة والمدفن الذ وجدت فيه هذه اللوحة عبارة عن قبر لأحد الوجهاء الرومان حيث إشارة النقوش المكتوبة بالخط اليوناني الى أهمية الشخص المتوفى فهو ذو مكانة عالية في المجتمع الذي يعيش فيهِ، وقد اكتشف هذا المدافن الرومانية بالصدفة خلال عام 2016م وهو فريد من نوعهِ في المنطقة حيث يحتوي جدران المدفن على رسومات أدمية وشجرة نخيل واضحة نُفذت بطريقة الفريسكو، وقد نقب هذا المدفن من قبل جهاد هارون ونزار العذاربة في عام 2017م من المركز الأمريكي للأبحاث الشرقية في العاصمة عمان واحمد لاش من دائرة الأثار العامة(Vibert-Guigue and Humbert, 2021).

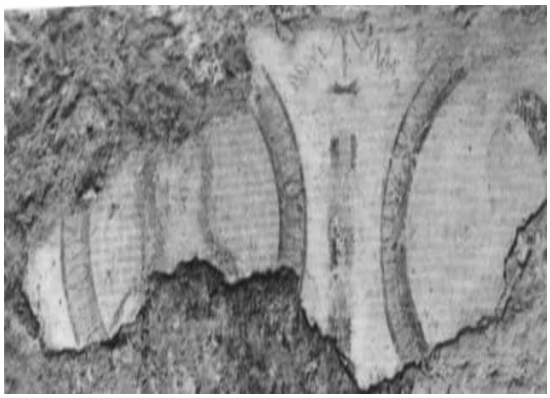

الشكل (4) :صورة تفصيلية لجدارية في مدافن بيت رأس (أربد شمال الأردن) طولها 16,50م وعليها خمسة الى ستة كتابات يونانية نفذت جميع الرسومات بطريقة الفريسكو (Vibert-Guigue and Humbert 2021).

الشكل (5): جُزء مِن لوحة فريسكو مليئة بالتفاصيل من مدفنْ بيت راس شمال الأردن

موضوعات الصور والرسومات الجدارية في كنائس الأردن:

ظهرت جداريات في حنية كنيسة الكاهن جيونيسيوس الواقعة في المنطقة الغربية الوسطى من مدينة جرش الأثرية حيث استدل عليها من خلال القطع الجصية المدمرة اثر الهزات الأرضية التي دمرت المباني والمواقع الأثرية في عام 749م حيث تم العثور في مبنى الكنيسة على أثار لمسامير برونزية كانت قد استخدمت لتثبيت الألواح الرخامية وقد كُسيت جدران حنية الكنيسة بطبقة جصية ثبتت عليها الألواح الرخامية المزخرفة بالنحت النافر بوردات مع ورق نبات دالية فوقها صف كامل من حبات ناتئة وفي الرواق الأوسط من الكنيسة عثر كذلك على أثار مسامير نحاسية كانت قد استخدمت لتثبيت الألواح الرخامية على أعمدة الكنيسة (الحمارنة ومجلي،2009).

غُطيت أسقف الكنائس بألواح فخارية القرميد وهو مُزخرف برسومات هندسية خاصة في زوايا اللوحة أو البلاطة؛ ظهر هذا الأسلوب المعماري في كنيسة عويمر في جرش (الدويكات،2004)، وكنيسة دير عين عباطة في غور الصافي (Politis, 2012).

وجدت الكثير مِن الصلبان والرموز المسيحية على مداخلْ وجدرانْ الكناس مثل تِلك الرموز التي وجدت على مدخل كنيسة دير عين عباطة الشرقي والذي يؤدي الى الكهف الذي بُنيت من أجله الكنيسة (Politis, 2012). وقد وجدت الكثير من الصلبان على جُدران الكنائس في فلسطين كما في كنيسة عابود حيث زينت بكتابات يونانية وكذلك وجدت كتابات على جُدران الكنائِس في منطقة النقبْ وكانت عِبارة عن تعبيرات عربية مكتوبة بحروف يونانية حيث استمر استخدام اللغة الأرامية والرومانية الى ما بعد الفتح الإسلامي. ان هذهِ الكتابات والرموز تُشير الى أهمية المكان بالنسبة للحجاج الذين كانوا وما زالوا يتوافدون عليهِ (نيروز،2000).

عُثر على شكل صليب مرسوم على جدار حنية محراب كنيسة حيان المشرف في المفرق (Al-Muheisen 1995)، وعُثر كذلك على شكل قلب مرسوم على الجدار الشمالي في كنيسة اسطفانوس في أم الرصاص في مادبا حيث ان عملية تلوين أجزاء من الجدران دون زخرفتها بأشكال صور اشخاص أو زخارف نباتية او هندسية كانت شائعة (Piccirillo and Attiyat, 1986).

عُثر على لوح حجري في كنيسة الأسقف سرجيوس في مادبا ترجح وجود صورة للعذراء مريم كانت تُزين محراب الكنيسة (Piccirillo, 1980).

ان غالبية الرسومات في الكنائس بالأردن كانت منفذة بالجص لأنها أسهل من عملية الجداريات الفسيفسائية وتكثر هذه الزخرفة في المناطق الريفية وكانت ذات ألوان متعددة ويكون اللون الأحمر الأكثر انتشارا ثم يليه اللونين الأسود والبني ومن تلك الرسومات شخص جالس بيدهِ كتاب وعلى رأسه هالة مُقدسة (المسيح) من كنيسة الكاهن وائل في مدينة ام الرصاص وتضم الكنيسة نفسها رسومات لشبكة من المعينات تضم صور صلبان وقناديل واوراق (Piccirillo,1993).

نُفذت بعض اللوحات الجدارية في كنائس الأردن بالفسيفساء وحسب تقارير ونتائج الحفريات الأثرية التي أجريت في الكنائس الموجودة في الأردن فقد أمكن تميز 17 كنيسة استخدمت هذا النوع من الأسلوب الزخرفي ومثال ذلك مكعبات ذهبية اللون في كنيستين في مدينة الديكابولس (قويلبة) (Winter, 1992)، وقد امكن تميز جزء من صورة شخص (الشكل 6)، رُبما تُمثل شخصية المسيح في كنيسة البتراء (Fiema, 1995 , Schick, 1993).

الشكل (6): صورة لشخص (المسيح ؟)، جُزء من فسيفساء جدارية في كنيسة البتراء الرئيسية (Fiema 1995: 328).

زُينت أعمدة كنيسة دير عين عباطة في غور الصافي بكتابات مدهونة باللون الأحمر ومكتوبة باللغة اليونانية وقد كُتب على جسم أحد الأعمدة (القديس ساعد ميناس Siant help Menas)، وعثر على جُدار الكنيسة في الحُنية الشمالية على طبقة جصية مِن البلاستر مرسومْ عليها صُلبان باللون الأحمر وفي الجِدار الجنوبي الغربي من حُنية الكنيسة وجدت كتابة على كِسرة جصية مكتوب عليها (زنوبيا بنت انستاسيوس Zenobia (Daughter) of (A) nastasios) وعُثر على كِسرة جصية مكتوب عليها حرف T باليونانية. ان اغلبْ الكِسر الجصية مدهونة باللون الأحمر الرمادي، وعُثر على كِسرة جِصية مكتوب عليها بالفحم النباتي الأسود أحرف يونانية رُبما تُشير الى رموز روحية. كما احتوت الكتابات الجدارية المكتوبة على الجِص في دير عين عباطة على أسماء سامية منها مكتوب بالخط الكوفي ومنها طلب السماح من الرب ان يعفي عن شخص اسمهُ (جرير) وقد ورد في هذه الكتابات اسم (عيسى) ، وورد في الكتابات الجصية الجدارية

كذلك إشارات الى أسماء شخوص نبطية وكانت هذه الأسماء نادرة في النصوص النبطية وتعود هذه كتابات الأسماء للفترة الواقعة ما بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين؛ إضافة الى ذلك عُثر على كسرة جصية مكتوب عليها سبعة احرف أراميه باللون الزهري ارخت كتابتها الى ما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين ووجدت كذلك كسرة جصية جِدارية تذكر شخص اسمهُ (حيّان) مكتوبة بالخط الكوفي وتعود الى القرن السابع الميلادي(Politis, 2012 : 408-419).

وجدت رسومات وكتابات داخل مساكن كهوف الرهبان في منطقة اللسان البحر الميت، تم توثيق ودراسة هذه المساكن من قبل ريتشارد هولمجرين وأندرس كالف من جامعة أبسولا في السويد في الأعوام 1995م و1996م (Holmgren and Kaliff 1997)، 1997م، 2006م، 2008م، 2010م وكانت هذه المساكن محفورة فوق هضاب كلسية بيضاء اللون من تكوين مارل البحر الميتLisan Marl وهي مكسوة بطبقات من الحصير القش وقد احتوت جدرانها الكلسية الناعمة على بقايا كتابات ورموز حيث اشارت بعض النقوش الكتابية الى صاحب البناء فافيوسFafeosومن الرسوم التي تحتويها مساكن الكهوف الرهبان رسمة لغزال وعدد من الصلبان ذات الأشكال المختلفة وكانت هذه الرسوم منقوشة على جدران المساكن الكهوف التي تشبه خلية النحل في الجير الأبيض الطري حيث تآكلت بسبب العوامل الطبيعة وانجرافات سيول الأمطار وكتبت النقوش بأحرف إغريقية، أراميه، مسيحية، حيث ان هنالك اشارت لأسم المسيح مع نقوش صلبان اغريقية وفي قصر الياس عثر على كتاب تُشير الى اسم الياس واحرف تشير للسيد المسيح XP وتعود هذه الكتابات حسب تحليل الكربون المشع للفترة الواقعة ما بين 450م الى 540م (Holmgren &Kaliff, 2005).

استخدمت التصاوير المنفذة على الجص وقد كانت تتكون من ثلاثة طبقات الطبقة الأولى توضع على الجدار مُباشرة وهي الأخشن ثم توضع الطبقة الجصية الثانية عليها وتكون ناعمة وملساء ثم طبقة ثالثة انعم وملساء يتم تنفيذ الرسومات عليها بعد ان تتم عملية سحق الألوان الجافة وخلطها بالماء. وقد استخدمت هذه الطريقة في كنيسة كهف دير عين عباطة فقد تم الحديث عنها سابقاً.(Politis, 2012) وفي كنيسة الأسقف سيرجيوس غُطي جدار محراب الكنيسة بجص ذو لون ابيض مطلي واستخدمت الخطوط الحمراء في تنفيذ الرسومات وكانت الطبقة الجصية الأولى مخلوطة بحجارة بركانية صغيرة ومن ثم يتم وضع مونة جصية أخرى أكثر نعومة لعمل طبقة ملساء يتم تنفيذ الرسوم عليها وقد تعرض هذه اللوحات الى التدمير بفعل مياه الأمطار. وقد ظهرت زخرفة الأوراق المُتشابكة في كنيسة اسطفانوس على الجدار الشمالي للكنيسة وقد كان الجدار مُغطاة بطبقة جصية بيضاء اللون ونفذت الرسوم عليها باللون الأحمر (Piccirillo and Attiyat, 1986)، ووجد كذلك هذا النوع من الزخرفة في كنيسة الأسود حيث عُثر بالقرب من الباب الموجود في الجدار الغربي على كتابة موجود على الطبقة الجصية تذكر اسم المتبرع وكتابة أخرى مكتوبة باللغتين اليونانية والعربية بالخط الأسود(بيشه،1987).

تم التعرف على استخدام تصاوير جدارية مُصنعة مِن مُكعبات فسيفسائية زجاجية وقد انتشر مثل هذا النوع من الزخرفة الجدارية في المناطق الريفية حيث بُعدها عن مركز الحكم الرئيسية، واستخدم الوان مُتعددة أهمها الألوان الرئيسية حيث يكون اللون الأحمر هو الغالب ثم يأتي اللونيين الأسود والبني، ومن اهم الجداريات الفسيفسائية والتي مكان

توثيقها هي جِدارية تُمثل جزء من صورة شخص بيده كتاب تُمثل السيد المسيح من كنيسة وائل في منطقة أم الرصاص والتي بُنيت في عام 586 ميلادية (Piccirillo, 1991)، وعُثر على رسمة صليب في مِحراب كنيسة حيان المشرف ويعود الى النصف الثاني من القرن السابع الميلادي (المومني 2005)، وكذلك تميز صورة قلب مرسوم على جدارية كنيسة اسطفانوس في ام الرصاص في مادبا وتعود الى القرن السابع الميلادي. ان عملية تزين الجدران بالتصاوير الأدمية والزخارف الهندسية أو النباتية كانت شائعة خلال القرن السابع الميلادي لكن تعرض هذه التصاوير الى اعمال تدمير بسبب الهزة الأرضية الي حدثت عام 749ميلادية حيث تمكنت الحفريات الأثرية من توثيق 17كنيسة كانت قد استخدمت في تزين جدرانها المكعبات الفسيفسائية من خلال العثور على قطع متناثرة من القطع الفسيفسائية على ارضيات الكنائس كانت قد استخدمت في تزين الجدران وهذا النوع من الزخارف كان شائع في المناطق ذات الطراز الكلاسيكي مثل جرش، طبقة فحل، ام قيس(Piccrillo, 1991). أمكن التعرف على استخدام صور جدارية من قطع فسيفسائية ذهبية اللون كما في كنيسة قويلبة، وتم التعرف على صورة جدارية مُصنعة من الفسيفساء في كنيسة البتراء في جنوبي الأردن حيث يلبس المسيح على رأسهِ هالة مُقدسة(Fiema et al, 1995) وهذا واضح من خِلال مُقارنتها مع صور المسيح والتي وجدت في مواقع أخرى في سوريا وفلسطين حيث ركزت التصاوير على وجود الهالة المُقدسة على رأس المسيح وتفاصيل جسده وثيابه(Robert, 1993)، وقد أمكن تميز صورة جدارية لزهرة التوليب Tulip في كنيسة طبقة فحل شمال الأردن (سماهر،2002).

في كنيسة قرمل شمال محافظة جرش كشفت الحفريات الأثرية عن تواجد أعمدة حاملي الأيقونات منحوتة ومصنعّة من الحجر الجيري الأصفر وتميز النصف السفلي منها بأنه ذو مقطع مربع والنصف العلوي ذو مقطع أسطواني الشكل وقد ظهر على النصف السفلي منها على زخارف غائِرة؛ اما الجزء العلوي فقد ظهرت عليه بقايا اصباغ ورسوم باللون الأحمر وكانت تُمثل هذه الرسوم وجوه أدمية رُبما تُمثل صور القديسين وقد زينت أعمد حاملي الأيقونات بتاجيات صغيرة وقُطر قاعدتها الأسطوانية 22سم كانت توضع أعلى أعمدة حامل الأيقونات (حراحشة و أبو عزيزة،2017).

في بداية الفترة البيزنطية ظهر توسعْ مِعماري كبير في فلسطين، وقد بُنيت العديد من الكنائس والاديرة في القدس والتي مِن أهمها كنيسة يوحنا المعمدانْ(Kochay, 1995) ، وقد تعرضت هذه الكنائس الى التدمير الكبير على يد الفُرس عام 614 ميلادية، وقد تم التعرف على7كنائس من اصل 181 يوجد فيها دلائل على استخدام جِداريات تصويرية امكن التعرف عليها وتمثل صور المسيح والملائكة والقديسين (Ovadiah&Calrla, 1981:200-261, 1984:129-16).في كنيسة معمودية في صحراء النقب في فلسطين تم اكتشاف جدارية تعود الى القرن السادس الميلادي تحتوي على طبقات الطلاء الأصلية عليها رسومات نُفذت بالخطوط الحمراء يُعتقد بأنها تُمثل صورة المسيح (الشكل 7) حيث يمكن تميز الرقبة والجزء العلوي من الرأس وعلى يسار اللوحة يظهر رأس آخر يُعتقد بأنه يمثل رأس يوحنا المعمدان وتقترح الباحثة مايا فنار ان هذه اللوحة تُمثل مشهد من معمودية المسيح وقد وصف المسيح من خلال هذه اللوحة بأنه ذو شعر مُجعد ووجه متطاول وعيون كبيرة وانف طويل وتقول الباحثة نفسها بأن الشعر القصير كان يتميز بها المسيح في كنائس

الأراضي السورية والفلسطينية لكنهُ في فترات لاحقة اصبح يصور بشعر طويل (Ovadiah&Calrla 1984: 200-261).

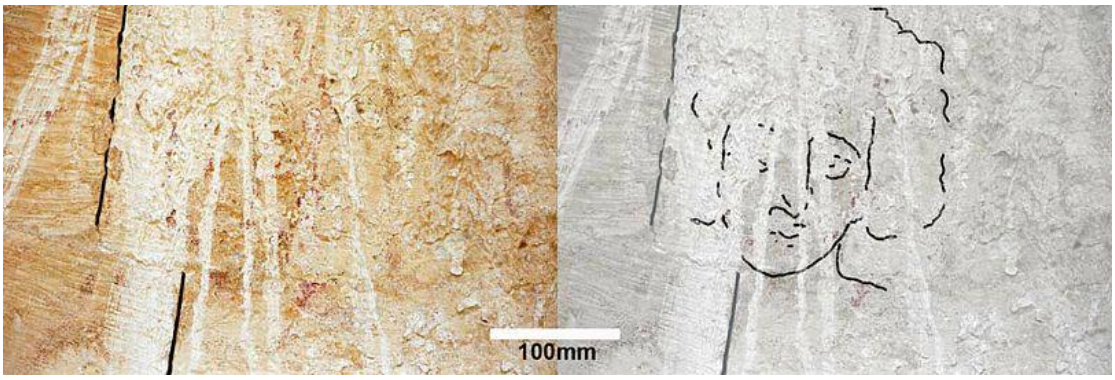

الشكل(7): صورة مرسومة على الجص تُمثل السيد المسيح في معمودية كنيسة في صحراء النقب في فلسطين تعود للقرن الرابع الميلادي حيث نُفذت الرسمة بالخطوط الحمراء (Ovadiah and Calrla 1984).

ومن أفضل الأمثلة على التصاوير الجدارية جاءت من كنيسة القيامة في القدس المُحتلة ومن اهم الجداريات في كنيسة القيامة لوحة جدارية موضوعة فوق الهيكل في صدر الكنيسة تُمثل مشهد الصلب للسيد المسيح وعند المدخل مُباشرة يوحد لوحة جدارية فسيفسائية تُمثل ذبيحة أسحاق ولوحة جدارية أخرى تُمثل يسوع المسيح المصلوب وعلى جانبيه القديسين والملائكة وامهِ العذراء مريم وفي قبة الكنيسة تتوسط صورة المسيح (الشكل 8) المشهد التصويري وهُنالك لوحة جدارية تُمثل نزول المسيح وحولهُ القديسين والملائكة (الشكل 9)(Denys, 2007).

الشكل(8) صورة المسيح وسط قبة كنيسة القيامة (Denys 2007). الشكل(9): صورة تُمثل نزول المسيح في كنيسة القيامة (Denys 2007)

يوجد في كنيسة القيامة رسمة على حجر جيري ذو اللون الأحمر مُزين برسومات المصابيح والشمعدانات وقد تم نُحت هذا الحجر لذكرى ما ورد في انجيل يوحنا بعد موت يسوعْ المسيح.

يوجد لوحة فسيفسائية ضخمة بالقرب من الدرج الذي يؤدي الى دير الأرمن ويمثل رسمة قُبة صغيرة تُغطي حجر مستدير الشكل ويطلق على هذا الحجر اسم حجر المريمات وهنّ النساء اللواتي تبعن يسوع المسيح من منطقة الجليل ليخدمنهُ ومنهنّ مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسف وقد عُمل هذا الحجر من اجل الذكرى لهُنّ حيث ساعدن المسيح

المحتضر كما ذُكر في انجيل متى وينظرنّ اليهِ عن بُعد كما تصور اللوحات الجدارية في تصاوير أخرى في الكنيسة (Dore, 2007).

قبل الدخول الى كنيسة القيامة والى جهة اليمين من المدخل الرئيسي لها يتم الدخول الى كنيسة الأفرنج ويطلق عليها في بعض الأحيان كنيسة العذراء او أم الأوجاع وهي كنيسة للأباء الفرنسيسكان ويوجد بها لوحة جدارية (الشكل 10) تُمثل العذراء مريم (Denys, 2007) .

الشكل (10) صورة جدارية تُمثل العذراء مريم في كنيسة الأفرنج في القدس وتؤرخ الى الفترة الصليبية (Denyas 2003).

مِن خِلال دِراسة جداريات كنيسة القيامة في القدسْ في فلسطينْ المُحتلة فهي ذات موضوعين. الأول: انها تروي قِصص الاناجيل والموضوع الثاني تروي قِصص غير موجودة في الاناجيلْ مثلْ تِلك القصص الى كُتبت في كتاب قيامة المسيح من وضع برنابا الرسول.

أقدمْ الرسومات والتصاوير الجِدارية في سوريا كانت في موقع المريبط ، نُقب هذا الموقع من قبل بعثة أثرية المانية وقد عُثر على بيوت كُسيت جُدرانها برسومات تصويرية تجريدية واشكالْ هندسية وهذا الموقع مُعاصر لموقع عين غزال في الأردن حيث تُعد هذه الرسومات من اقدم الرموز التجريدية في منطقة الشرق الأدنى حيث رُسمت الأشكال بألوان مُختلفة ومنْ اهم المعثورات الأثرية قطع من الطين وعند تجميعها تم التعرف على صورة شخص بطراز مصري ووجه الشخص كان بشكلْ جانبي ويعتقد الباحثون انها صورة ملك أو اله مصري ومِن خِلال المصادر التاريخية فأن هذه المنطقة تعرضت الى حملات عسكرية مصرية متكررة وقد رُسمت اللوحة من اللبن الطيني بوضع طبقة من الطين حيث استخدمت أصابع اليد من اجل ان يُعطى اللوحة الصلابة والمتانة ثم يتم تنزيل الرسومات عليها وقد استخدم اللونْ الأزرق في تنفيذ الرسومات، ومن اهم اللوحات القديمة في سوريا جاءت امثلة على الرسومات الجدارية من موقع تل أحمر حيث ظهرت لوحة في غاية الأهمية حيث تم تصوير الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث وحملاته العسكرية وصيده للحيوانات والاساطير التي كانت سائدة خلال فترة حكمهِ(Parr, 2003). عبرَ الفترات الزمنية المختلفة ظهر تطور كبير في عمل

اللوحات الجدارية خاصة في الفترة المسيحية حيث ظهر التطور في جميع المجالات الفنية وخاصة بعد ان اصبح الدين المسيحي هو الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية فقد استخدمت العديد من الوسائل لنشر الدين المسيحي وتعاليمه وقد استخدمت الألواح الخشبية والفريسكو بكثرة في المواضيع الجدارية، ومن اهم اللوحات الجدارية هي تِلك الجدارية المكتشفة في كنيسة دورا أوربوس (دورا أوربوس Dura-Europos الى الجنوب الشرقي من دير الزور شمال شرق سوريا) وهي من أقدم الصور البصرية ليسوع المسيح و تُمثل هذه اللوحة (الشكل 11)يسوع المسيح وهو يداوي أحدى المصابين بالشلل وتعود هذه اللوحة الفنية الى حوالي 232 – 256 ميلادية(Driven, 1999)وتُعتبر من أقدم الشواهد الأثرية على انتشار الديانة المسيحية في سوريا(Hopkins, 1979).

الشكل (11) لوحة جدارية في مدخل كنيسة دورا أوربوس في سوريا محفوظة في متحف جامعة ييل الأمريكية (Driven 1999).

وبعد ذلك تطور فنْ التصوير الجداري في سوريا حيث ظهرت تعاليم الأناجيل وإظهار صور المسيح والقديسين وقدسيتهم من اجل إيصال حقائق الأيمان لمختلف فئات الشعب، كما تناولت الرسومات والمنحوتات تجسيد المسيح المصلوب وظهور رسومات الصلبان علانية في القرن الرابع الميلادي وزادتْ التصاوير الجدارية في مُختلف أنحاء العالم فوصلتْ الى روما في إيطاليا خاصة بعد انعقاد مُجمع نيقيه عام 787م حيث ظهرت حُرية التعبير في الرسومات الدينية حيث تم التركيز على وجه المسيح وبعدها التركيز على تفاصيل السيد المسيح وتصوير ثيابه، وخِلال الفترة الواقعة ما بين القرنين الثامن والثاني عشر الميلادي تم تصوير مئزر السيد المسيح فتذكر الأناجيل بأن الجنود أخذوا ثياب المسيح عنما صلبوه حيث يظهر في اللوحات الجدارية المسيح وأمهِ ويوحنا ولونجينوس (حامل الحرية) وإسطفان(Francis, 1975).

خِلال مُنتصف القرن السابع الميلادي لم تتأثر المُجتمعات المسيحية اثناء الأحداث السياسية بين الساسانيين والعرب؛ فقد استمروا في بناء الكنائِس والأديرة وزينوها حيث تطورت فنوهم المعمارية في القرنين السابع والثامن الميلادي، وجدت رسومات جِصية مِن خِلال الحفريات التي أجريت في منطقة القصور في الكويت الخليج العربي (الشكل 12و13) عن عددٍ من اللوحاتْ الجِدارية الجصية في العديد من الكنائس حيث زُخرفت هذه اللوحات بأشكال نباتية وهندسية، ومِن هذهِ اللوحات ما هو معروض الآن في متحف الأثار الوطني الكويتي(Baum, 2003, Salles & Collot, 2013)..

الشكل(12): لوحة جصية جدارية من كنيسة القصور في الكويت حفريات 1988 معروضة في متحف الأثار الوطني الكويتي (Photo. H. David-Cuny, MAFKF 2015)

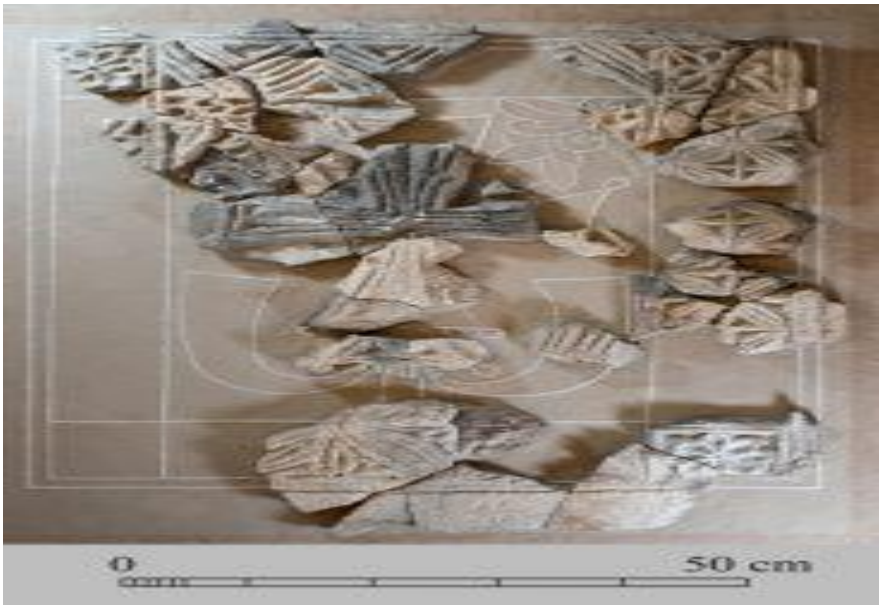

الشكل(13) لوحة جدارية جصية من كنيسة القصور في الكويت حفريات 1989 معروضة في متحف الأثار الوطني الكويتي (Photo. H. David-Cuny, MAFKF 2015)

أستمرت فنْ التصاوير الجدارية الى جانب الفنون الأخرى التي ميزتْ الفن البيزنطي في مُختلف المناطق والتي بدأت بالظهور منذ القرن السادس الميلادي وحتى استيلاء الجنود الأتراك على القسطنطينية عام 1453 ميلادية وقد اهتم الفنان البيزنطي في اللوحة التصويرية الجدارية بالبُعد الديني والاهتمام بالترجمة غير الشخصية للاهوت الكنسي وقد وصل هذه الفن ذروتهُ في روما في إيطاليا وقد وصل الى هُنا عن طريق الحروب والغزوات، ففي إيطاليا ظهر استخدام مُكثف للتصاوير الجدارية في قِباب الكنائس والأقبية الكبيرة وقد أستخدمت المكعبات الفسيفسائية في تُزين الجدران الداخلية

للقباب حيث كان الجُزء العلوي للقُبة المركزية مُخصص لِصورة المسيح واعتبارهِ الاله وحولهُ الملائكة والقديسين وصورة مريم العذراء ومن خِلال هذه اللوحات الفنية تُمثل الكنيسة صورة مُصغرة للكون ويعكس المُخطط العام للصورْ الجدارية الليتورجيا وهي اختيار مشاهد سردية من حياة المسيح من ولادته وحتى صلبهِ. ومن موضوعات اللوحات الجِدارية في الفترة البيزنطية المُتأخرة تِلك اللوحة التي وجدت في كنيسة دورخيرا في القسطنطينية حيث يظهر التنوع في التقنيات والأساليب الفنية حيث تصور اللوحة حياة مريم العذراء والطفولة وخِدمة المسيح وقد استخدمت المُكعبات الفسيفسائية في تزينها واستخدام المنظور في مُعالجة الفراغات (Talbot, 1993). ومِن اللوحات التي تُظهر الفنْ البيزنطي بمهارة عالية تِلك اللوحة الجدارية في كنيسة دير ميسترا التي بُنيت بين الأعوام 1375 – 1350ميلادية حيث مثلت اللوحة صور القديسين ويوحنا المعمدان وتظهر موضوع معمودية المسيح (Todic, 1999).

ومن الموضوعات الجدارية في الكنائس المسيحية جدارية كنيسة ديرستودينيكا والتي عام 1313ميلادي حيث تظهر صورة المسيح في قبة الكنيسة ويحيط به رموز الأنجلين الأربعة وفي نفس اللوحة تظهر صورة حياة مريم العذراء وفي الجهة المقابلة لهذه اللوحة ظهرت صورة الملك وزوجته (Chatzidiakis, 1990).

الخاتمة:

ان الرسوم والتصاوير الجدارية تروي قصة دينية أو دنيوية مثل تقديم القرابين أو مشاهد المعارك الحربية وتظهر انتصارات الملوك والأباطرة، وتهدف الرسومات الى غايات دينية بأن يجد الميت ما يأنس اليه في حياته في الآخرة فقد زُينت الرسوم الجدارية الملونة الكثير من المعابد، القصور، الكنائس، والمدافن وقد عبرّ فيها الفنان عن مراحل مختلفة من التقاليد والعقائد.

ظهر تزينْ جُدران المباني بالبلاستر مُنذ وقت طويل قبل 3000 قبل الميلاد حتى وصلت الى مرحلة الرسم بطرق أخرى في مراحل لاحقة مثل زخرفة الفريسكو والتمبرا والحوامل الخشبية، وقد ظهرت زخرفة الجص على الأعمدة الخشبية في معبد داريوس في سوريا، وظهرت في بلاد الرافدين رسوم جدارية تعكس الحياة الاقتصادية، الاجتماعية، والعسكرية فقد حكتْ الرسوم والتصاوير قصص الحرب وبطولات الملوك.

في الفترة البيزنطية كانت موضوعات الصور الجدارية تصور حياة المسيحوالأنبياء والقديسين وقد ظهرت بعض الموضوعات المسيحية مرسومة على الألواح الخشبية والتي تُمثل القصص المسيحية والموضوعات التوراتية، ومن المعالم البارزة للفن المسيحي في عصر النهضة فسيفساء جدارية في كنيسة أوسيوس لوكاس (لوكا الموقر) والتي تعود الى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي حيث صورت اللوحة الجدارية العرش المجهز وحمامة والهالات الذهبية التي ترمز الى روح القدس والرسل الاثني عشر الجالسين في القبة وتنزل أشعة الضوء فوق رأس كل رسول حيث يظهر الرسل جالسون يتحدثون مع بعضهم البعض.

والتصاوير الجدارية في الفترة البيزنطية شكلت متنفساً للعقيدة الدينية، وكانت جسراً للتواصل مع الروحانيات وأداة للتعليم والتثقيف. حفظت هذه الأعمال الفنية التاريخ ونقلت العقائد عبر الأجيال، ولا تزال تدرس اليوم كإرث ثقافي يعكس تاريخ وروحانية حضارة راقية وعميقة الأثر.

وكانت التصاوير الجدارية في العصور البيزنطية تحمل دلالات رمزية عميقة، إذ أنها كانت تستخدم لتعليم الشعب قصص الكتاب المقدس وتعاليم المسيحية. كثير من الناس في ذلك الوقت كانوا أميين ولا يستطيعون القراءة أو الكتابة، لذلك كانت الصور تلعب دوراً هاماً في نقل الرسائل الدينية وتعزيز الإيمان بين الجماهير.

ومن خلال أعمال الحفريات الأثرية في مناطق مختلفة من العالم فقد ظهر تطور كبير في صناعة الزخارف الجدارية والأرضية بمُختلف الرسومات الدينية والدنيوية، والأمثلة واضحة في مناطق أردنية مثل تلك الزخارف والرسوم الجدارية في قصر العبد في عراق الأمير، والواجهات الصخرية والمعابد في البتراء، ومن أروع الجداريات الإسلامية هي تلك الي وجدت في حمام قُصير عمرة.

نتائج البحث

خلص البحث المعنون " التصاوير الجدارية متنفس للعقيدة في الدولة البيزنطية"، إلى عدد من النتائج من ابرزها:

1. الرسوم والتصاوير الجدارية تروي قصة دينية أو دنيوية مثل تقديم القرابين أو مشاهد المعارك الحربية وتظهر انتصارات الملوك والأباطرة.

2. ظهر تزينْ جُدران المباني بالبلاستر مُنذ وقت طويل قبل 3000 قبل الميلاد حتى وصلت الى مرحلة الرسم بطرق أخرى في مراحل لاحقة مثل زخرفة الفريسكو والتمبرا والحوامل الخشبية.

3. ظهور تطور كبير في صناعة الزخارف الجدارية والأرضية بمُختلف الرسومات الدينية والدنيوية.

4. كانت الصور والرسومات الجدارية تلعب دوراً هاماً في نقل الرسائل الدينية وتعزيز الإيمان بين الجماهير.

5. بدأ ظهور اللوحات الجدارية في مناطق الأردن من الفترات الهلنستية والنبطية وحتى الفترة الأموية.

Abstract

Wall Painting as a respirator of the doctrine

By Zaien Musa Al- Qaran

And Khalaf Fares Al-Tarawneh

Wall painting and drawing are aesthetic arts in which religious and civil building decorated. Through it, political, social, religious conditions and any manifestation of presence of any society can be identified. The mural is the artistic painting that contain the drawings, whether its animal or the human stucco and geometric paintings, and some murals have contained designs and forms for architectural building, as well as the terrain of the land and the local environment. Moreover, there are many mural artistic methods, including the mural of fresco, Anacostia, Tempera, and wooden stands. In Jordan, the topic of wall paintings varied from Hellenistic period until Islamic periods.

Keywords: wall painting, fresco, Tempera, Anacostia, wooden stands.

المصادر والمراجع

بيشه، غ. (1987). ملاحظات حول كنيسة القديس اسطفانوس في أم الرصاص (ميفعة): تاريخها واهمية زخارفها الفسيفسائية، حولية دائرة الأثار العامة الأردنية، العدد 31، صفحات: 11– 16.

حراحشة، ر وأبو عزيزة، ل.(2017). كنيسة قرمل، حولية دائرة الأثار العامة، 59–76.

الحمارنة، ك ومجلي، ع. (2009). كنيسة الكاهن جيونيسيوس في جش نتائج أعمال الصيانة والترميم.

الدويكات، ع. (2004). الكشف عن كنيسة بيزنطية منطقة عويمر جرش، تقرير أولي حول نتائج الموسم الأول والثاني 2003 /2004. حولية دائرة الأثار العامة، العدد 58 ص: 84-77.

شياع، س (2021) الابعاد الجمالية للجداريات النحتية في المعابد المندائية في بغداد، مجلة اوروك للعلوم الإنسانية، 14(4)، 2964–2981.

قادوس، ع. (2002). الأثار القبطية والبيزنطية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

المومني، خ. (2005). كنائس حيان المشرف، دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك.

نصار، س. (1996). الرسومات الجدارية (الفريسكو) في منطقة شمال الأردن خلال الفترة الرومانية ، دراسة تحليلية مُقارنة، رسالة ماجستير ، معهد الأثار والأنثربولوجيا، جامعة اليرموك.

الهجان، ع والعجمي، م والسيد، ا ومصطفى، أ (2013) فن الجداريات: اصوله وتقنياته، مجلة بحوث التربية النوعية، 28(1)، 573–599.

يوسف، س. (2006). تأثير الاتجاهات العقائدية على تصميم الكنائس في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة ، قسم العمارة، جامعة حلوان.

المراجع الأجنبية

Barbet, A. &Vibert-Guique, C. (1988). Les PeinturesDesNecropolesRomaines D Abila ET Du Nord De La Jordanie, BAH CXXX.

Baum, W. (2003). The Age of Arabs: 650-1258 in Baum, W. and Winklet, A. (Eds.). The Church of the East. Concise History, London-New York, Pp.: 93-136.

Chatzidakis, M. (1990).Mystras: The Medieval City and the Castle, Athens: Ekdotike Athens.

Dauphin, C. (1975). A Note on the Church of the Virgin at Madaba, Jordan. PEQ. Pp.: 55-57.

Denyas, P. (2007). The Churches of the Crusader Kingdom of Jerusalem, Cambridge University Press.

Dore, G. (2007). The Fight for Jerusalem Radical Islam the West and the Future of the Holy City, Washington, D, C.: Regency Publishing.

Driven, L. (1999). The Palmyrenes of Dura-Eruopos: A Study of Religious Interaction in Roman Syria, Leiden.

Eristov, H. and Seigne, J.(2002). Jordanie: Le Naos De Theon A Jerash. Archeologia 385: 26-38.
Fiema, Z. (1995). The Petra Church Project: Interim Report, 1992-1994. JRA, Pp.: 55-61.
Finlayson, B. and Mithen, S. (1998). The Dana-Faynan (South Jordan) Epipaleolithic Project on Reconnaissance Survey, 14-22, Aprill 1996. Levant 30:27-32.
Francis, E. (1975). Mithraic Graffiti from Dura-Eruopos, in Mithraic Studies Proceeding of the First International, Hinnells, John. Manchester UP, Pp: 424-445. Congress of Mithriac Studies.
Holmgren, R. and Kaliff, A. (1997). The 1995-1996 Excavation of Dayr al-Qatar al-Byzanti, A Preliminary Report, ADAJ 41:321-3330.
Holmgren, R., & Kaliff, A. (2005). The Hermit Life on al-Lisan Peninsula--Results of the Swedish Dead Sea Expedition: A Preliminary Report. *Annual of the Department of Antiquities of Jordan*, *49*, 167.
Hopkins, E. (1979). The Discovery of Dura-Europos, New Haven Londo.
Karasneh, W. (1991). Excavation Report. Amman: Department of Antiquities.
Kochay, S. (1995). The Search for a Protestant Holy Sepulcher: the Garden Tomb in Nineteenth-Century, Jerusalem. The Journal of Ecclesiastical History.
Kolb, B. (2002). Excavating a Nabataean Mansion, Near Eastern Archaeology 65: 260-264.
Le, Naos (2003) Hellenistique Du Sanctuaire De Zeus OlympienAJerash (Jordanie) Topoi Suppl. 4: 269-298.
Ognibene, S. (2002). *Umm al-Rasas: la Chiesa di Santo Stefano edil" problemaiconofobico"* (No. 114). L'Erma di Bretschneider.
Ovadiah, A &Calrla, S. (1981). Supplementum to the Corpus of the Byzantine Churches in the Holy Land, Levant 13: Pp.: 200-261.
Ovadiah, A., & Gomez de Silva, C. (1984). Supplementum to the Corpus of the Byzantine Churches in the Holy Land. *Levant*, *16*(1), 129-165..
Parr, P. (2003). Excavations at Arjoune, Syria. BAR International Series 1134.
Piccirillo, M. (1980). A Note on the Church of the Virgin at Madaba. ADAJ 24. Pp: 151-152.
Piccirillo, M. (1993). *La chiesa del preteWa'ila Umm al-Rasas–KastronMefaa in Giordania*. na., Pp. 313-334 in Early Christianity in Context, Monuments and Documents, F. Manns and E. Alliate (eds) StudiumBiblicumFranciscanum, Collections maior, 38.
Piccirillo, M. and Attiyat, T. (1986). The Complex of Saint Stephen at Umm Er-RasasMafaa: FiristCampagin August 1986, ADAJ 30, and Pp.: 344346.
Politis, D. (2012). Sanctuary of Lot at Deir Ain Abata in Jordan Distribution Agency in Association with the British Museum.
Robert, Sch. (1993). The Petra Church Project 1992-1993, a Preliminary Report, ADAJ 27, Pp.: 55-61.
Salles, J. and Collot, O. (2013). TesEglises Antiques De Koweit ET Du GolfePersique in BriquelChatonnet (Ed.). Les EglisesEn Monde Syrialaque Parts, Pp.: 237-258.
Talbot, A. (1993). The Restoration of Constantinople under Michael VIII. Dumbarton Oaks Papers 47. Pp.: 243-261.
Tell, S. (1995). Frescoes: From the Decapolis to the Umayyad Palaces. Pp. 375-382 in Studies in the History and Archaeology of Jordan V. Amman: Department of Antiquities.
Todic, B. (1999). Serbian Medieval Painting: The Age of King Milutin. Belgrade: Draganic.
Vibert- Guigue, C. and Bisheh, Gh. (2007). QusayrAmra Les Peintures Dun Bain Omeyyade, BibliothequeArcheologique ET Historique 179/ Jordanian Archaeology 1.
Vibert-Guigue, C. (1998). La Peinture Dun Tombeaua as-Salt. ADAJ XLII: 369-374.
Vibert-Guigue, C. and Humbert, J. (2021). Bayt Ras Tomb Project, Archaeology in Jordan 3, 2020-2021 Seasons.
Will, E. and Larche, F. (1991). Iraq al-Amir. Le Chateau Du TobiadeHyrcan. BibliothequeArcheologique ET Historique 132.
Zayadine, F. (1986). Peintures murals ET Mosaiques a AsujetsMythologiquesEnJordanie. Bulletin De CorrespondanceHellenique, XIV: 407-432.
Zayadine, F., &Hadidi, A. (1987). Decorative stucco at Petra and other Hellenistic sites. *Studies in the history and archaeology of Jordan. Department of Antiquities, Amman, Hashemite Kingdom of Jordan-Amman. Vol. 3*, *3*, 131-142..